

## مشافهة ميلادية

سالم الهنداوي

- ١ -

زَبْدِيَّةٌ .. باعت أزرار ثوبها للريح .  
صاح العطشى الذين انتظروا أشرعة النهار والبحار،  
على شاطئ حزين يهدد أبنية بعيدة تَشْتَعِلُ بالفسيفساء .  
- من منح النساء التكوين؟ كيف يتحرك الجنين في  
أعشاب الدم؟

صاح آخرون:

- قَبْلَ النِّسَاءِ كَانَ الْبَحْرُ، كَيْفَ أَنْجَبَ الْيَبَاسُ هَذَا  
الْقَدْرَ الْهَائِلَ مِنَ الْبَحْرِ؟

رَدَّدَ آخَرُونَ:

- بَلْ قُولُوا.. قَبْلَ النِّسَاءِ كَانَ الْيَبَاسُ، كَيْفَ  
أَنْجَبَ الْبَحْرُ هَذَا الْقَدْرَ الْهَائِلَ مِنَ الْيَبَاسِ؟  
... فَصَمَّتِ الْبَحْرُ، وَصَمَّتِ الْيَبَاسُ، وَغَنَّتِ الرِّيحُ  
مِنْ بَعِيدٍ وَسَطَ الْغَيْومِ تُكَابِدُ الْمَخَاضَ.

قالوا معاً:

- ما معنى ذلك؟

قال أحدهم، وقد كان عجوزاً شبه الطقس:

- قَدْ يَتَجَالَبُ الْبَحْرُ مِنَ الدَّاخِلِ . يَنْحَصِرُ الْمَوْجُ  
بَيْنَ صَخْرَتَيْنِ ثُمَّ يَنْدَفِعُ إِلَى السَّطْحِ كَغَلِيَانِ الْبِرَاكِينِ تَمَاماً .

فقالوا:

- وَهَلْ صَارَتِ النَّارُ مَاءً؟

قال أحدهم، وقد كان نحيفاً ناشفاً قاطباً:

- لَنْسُرِعَ يَا سَادَةَ قَبْلَ أَنْ تُتْلَى الْأَسْئَلَةُ .. قَبْلَ النِّسَاءِ  
كَانَ الْمَاءُ، كَيْفَ أَنْجَبَ الْمَاءُ النَّارَ.

هُرِعُوا فِي عَصِيَانٍ أَمَامَ الْحَبَائِلِ، وَبَدَتِ الْأَغْنِيَةُ كَثِيْبَةً  
كَأَبَّةَ هَذَا اللَّيْلِ الْوَحِيدِ.

- ٢ -

وسط حالة من الغثيان الميِّت، سَمِعَتْ أَنْبَاضَ الْجِثْثِ  
صِيَاحَ الْعَجُوزِ يُعْلِنُ هَجْمَةَ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابَسَةِ فِي غَفْلَةٍ مِنْ  
النَّاسِ جَمِيعاً. اسْتَوْقَفَهُ السُّلْطَانُ بِعَصَا الْقَرْحِيَّةِ، وَأَمَرَ  
بِصَلَاةِ عَاشِرَةٍ يَعْقُبُهَا نُوحٌ.

- ٣ -

قالت زَبْدِيَّةٌ، والرعدُ الجميلُ في عينيها يُبِيحُ سِرَّ  
السُّكُونِ:

- وَهَلْ تُكْتَبُونَ الْمَوْجَ؟

لماذا لا يُبِيحُ فِي الْيَبَاسِ سِرَّ الرِّيحِ؟

يَكْفِي .. يَكْفِي أَنْكُمْ تَطَالِعُونَ فِيهِ بَازِدرَاءٍ وَهُوَ مَجْبُوبٌ،  
ثُمَّ تَلْعَنُونَ كِبْرِيَاءَهُ.

أنا من كساني البحرُ بزبدته فصرتُ نجمةً وحيدةً في  
الليلِ العَاشِرِ .. وَهَا أَنْتُمْ تَبْدَلُونَ التَّوَجَّ بِصَلَاةِ عَاشِرَةٍ ..  
لماذا ..

أليس فيكم من مناكحٍ .. كيف تناسلتم؟

قالوا والعيونُ بلونِ الرَّمْلِ:

- كُفِّي .. كُفِّي يَا زَبْدِيَّةُ. نَحْنُ وَالسُّلْطَانُ  
لَا نَخْتَلِفُ.

وقالوا وهي تهيمُ إلى البحرِ مُضْجِرَةً

- قَبْلَ كُلِّ النِّسَاءِ كَانَتْ زَبْدِيَّةٌ. كَيْفَ أَنْجَبَتْ  
زَبْدِيَّةٌ طِفْلاً مِنْ نَوْرٍ؟!

لييا